محمد عبدالرحمن صادق يكتب : على بصيرة

الاثنين 23 مايو 2016 10:05 م

على بصيرة
بقلم / محمد عبد الرحمن صادق

- قال تعالى : " قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {108} " (يوسف 108) .
- أولاً : قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي ... : أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يُعلنها صريحة ، واضحة ، عالية ، مُدوية ، للجميع دون استثناء ، ودون خوف ، ودون تردد ، ودون مُحاباة لأحد ، ودون خوف من مغبة هذا الإعلان .
- قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي : أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن ينسب هذا السبيل ، وهذه الدعوة ، وهذا الدين ، لنفسه حُباً ، وكرامة ، وتشريفاً . فهذه الدعوة هي الروح واللحم والدم وأعز ما يملك الإنسان . يُضحّي الإنسان في سبيل هذا الدين ، وهذه الغاية ، بالغالي والنفيس ، رخيصاً في سبيل الله وحده ولإعلاء كلمة الله تعالى خفاقة .
- ثانياً : قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ ... : فالله تعالى وحده هو الغاية والمُبتغى ، فلا يزاحم هذه الغاية أي انتماء آخر أو تشرذم ممقوت أو جاهلية مُنتِنة . دون مُباهاة أو تفاخر ، ودون مَنٍ أو أذى ، ودون انتظار لمغنم أو مكانة . بل يكون ذلك كله إيمانا بالله وحده ، واحتساباً لوجهه الكريم .
- ثالثاً : قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ... : قال القرطبي رحمه الله : { عَلى بَصِيرَةٍ } أي على يقين وحق .
- وقال الرازي رحمه الله : { عَلى بَصِيرَةٍ } أي أدعو الله على بصيرة وحجة وبُرهان .
- وقال السيوطي رحمه الله : { عَلى بَصِيرَةٍ } أي على هُدى . وقاله الشوكاني أيضاً . - وقال سيد قطب رحمه الله : { عَلى بَصِيرَةٍ } أي على هُدى من الله ونور . نعرف طريقنا جيداً ، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة ، لا نخبط ولا نتحسس ، ولا نحدس . (الحدس هو الظن والتخمين والتوهم) .
- وجاء في تاج العروس : البَصِيرَةُ بالهاء : عَقِيدَةُ القَلْبِ . قال اللَّيْث : البَصِرَةُ : اسمٌ لما اعتُقِدَ في القلْب من الدِّين وتحقيقِ الأمرِ . وفي البَصَائر : البَصِيرَةُ : هي قُوَّةُ القَلْبِ المُدْرِكَةُ وقولُه تعالَى : " أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ " أي على معرفةٍ وتَحَقُّقٍ . البَصِيرَةُ : الفِطْنَةُ .
- هذه البصيرة هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في قوله تعالى : " إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ {75} " (الحجر 75) . أي للمتفرسين ، للمُعتبرين ، للمُتأملين ، للمُتفكرين . عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : " للمتفرسين " (رواه الترمذي) . - وقيل : الفِرَاسَة هي الاستدلال بالأمور الظَّاهرة على الأمور الخفيَّة .
- قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب " (متفق عليه) .
- قال المناوي رحمه الله في (فيض القدير) : " (مُحَدَّث) أي مُلهم أو صادق الظن، وهو من ألقى في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى ، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد ، أو تكلمه الملائكة بلا نبوة ، أو من إذا رأى رأيا أو ظن ظناً أصاب كأنه حدث به وألقى في روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له . وهذه كرامة يُكرم الله بها من شاء من صالح عباده وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء ... " .
- قال ابن القيِّم رحمه الله : " الفِراسة الإيمانيَّة ، سببها نورٌ يقذفه الله في قلب عبده ، يفرِّق به بين الحقِّ والباطل ، والصَّادق والكاذب ، وهذه الفِرَاسَة على حسب قوَّة الإيمان ، وكان أبو بكر الصِّدِّيق أعظم الأمَّة فِرَاسَة " .
- قال حسن البنا رحمه الله : " وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمُجاهدة نور وحلاوة يقذفهما الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه " .
- قال الماوردي رحمه الله : " ينبغي أن يكون للعالم فِرَاسَة يتوسَّم بها المتعلِّم، ليعرف مَبْلغ طاقته، وقَدْر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمَّله بذكائه، أو يَضْعُف عنه ببلادته، فإنَّه أروح للعالم، وأنجح للمتعلِّم " .
- قال أبو الدَّرداء رضي الله عنه : اتَّقوا فِرَاسَة العلماء ؛ فإنَّهم ينظرون بنور الله ، إنَّه شيء يقذفه الله في قلوبهم ، وعلى ألسنتهم " .
- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " أفرس الناس ثلاثة : امرأة فرعون في موسى ، حيث قالت : { قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً } وصاحب يوسف ، حيث قال لامرأته : { أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً } وأبو بكر الصديق

في عمر رضي الله عنهما ، حيث جعله الخليفة بعده
- هذه البصيرة هي التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة ثلاث مرات في ثلاثة أيام متتالية ، ويكون نفس الرجل هو الذي يدخل في المرات الثلاث .
- وهذه البصيرة هي التي جعلت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ينادي وهو في المدينة : " يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل .. " .
- وجاء في البداية والنهاية : " وهذا عمر: قيل : إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين ، فيقول عمر: احبس هذه ، احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كل ما حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبسه " .
- وهذه البصيرة هي التي جعلت أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يقول : " يدخل عليَّ أحدكم ، وأثر الزِّنا ظاهر على عينيه . فقلت : أوحيٌ بعد رسول الله ؟! فقال : لا، ولكن تَبْصِرة وبرهان ، وفِرَاسَة صادقة .
- وهذه البصيرة هي التي جعلت أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : " ويح ابن عبَّاس ، كأنَّما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق " .
- وهذه البصيرة هي التي جعلت الحسن بن علي رضي الله عنهما لما جيء إليه بابن ملجم - قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال له : أريد أن أسارك بكلمة فأبى الحسن وقال : تريد أن تعض أذني . فقال ابن ملجم : والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صماخها .
- وهذه البصيرة هي التي جعلت الجنيد عندما جاءه يومًا شابٌ نصرانيًا في صورة مسلم ، فقال له : يا أبا القاسم ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " ؟ فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه إليه ، وقال : أسلم فقد آن لك أن تسلم : قال فأسلم الغلام .
- فالقائد بدون هذه البصيرة وهذه الفراسة ، وهذه الفطنة ، سيكون فريسة سهلة ، ولقمة سائغة لكل من أراد أن يفتك به وبدعوته وبأتباعه . ولذلك كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول : " لست بالخب ولا يخدعني الخب " . (الخب أي الخادع) .
- رابعاً : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... " : فلا يكفي أن يكون القائد مُتصفاً بالرأي السديد ، والنظرة الثاقبة ، والحِنكة ، والدراية ، والفراسة ، والبصيرة ، وأتباعه في كل واد يهيمون ، وبكل خديعة ينخدعون ، وإلى كل منعطف يُستدرجون ، وخلف كل ناعق ينعقون . - فلابد للجنود من أن ينهلوا من زاد قائدهم ، وأن يقتفوا أثره دون تغيير أو تبديل أو تعطيل أو ابتداع - ولابد للجنود أن يُنزلوا قائدهم منزلته ، وأن يحفظوا له قدره ولا يسمحوا لأحد أن ينال من هذه المنزلة ولا من هذا القدر كائناً من كان .
- ولابد للجنود أن يُحصِنوا التلقي لكي يُحسنوا النقل والتوريث ، فتبقى الدعوة فتية ، مُتجددة الشباب ، ساطعة سطوع الشمس ، وتبقى الأمة على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك . - خامساً : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ ... : إن العمل لدين الله تعالى يعتمد اعتماداً أساسياً على القوة الإيمانية والمعنوية أكثر منه على القوة المادية . عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - تملأ - ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها " (رواه مسلم) .
- إن الداعية إلى الله تعالى لابد وأن يكون له خلقاً ليس ككل الأخلاق ، وأن يكون له إيماناً ليس كإيمان العوام ، وأن تكون له خبيئة (عبادة سرية) بينه وبين الله تعالى ، لا يطلع عليها ملك فيكتبها ، ولا يطلع عليها شيطان فيفسدها ، وذلك ليتحمل وعثاء الطريق ومشقته ، هذا الطريق الذي ناح فيه الأنبياء وشابوا ، من كثرة تكاليفه ، وثقل تبعاته . فأنى لداعية إلى الله تعالى أن يُكتب له توفيقاً أو تمكيناً ، وقد ترك قلبه للدنيا تتناوشه وتتلاعب به كما يلعب الصبيان بالكرة ؟
- سادساً : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : فلا مُداهنة ، ولا تنازل ، ولا مُساومة . وعلى كل مُخلص أن يتخذ لنفسه الشعار الذي رفعه الصديق أبو بكر رضي الله عنه وهو يحارب مانعي الزكاة والمرتدين حيث قال : " إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص الدين وأنا حي ؟ " .
- وختاماً : هذا ديننا الذي فيه تبيان كل شيء ، وهذا نبينا الذي لا ينطق عن الهوى ، وهؤلاء هم صحابته الكرام الذين ترجموا لنا أمور ديننا ترجمة عملية لا تشوبها شائبة ، وها هي الأمانة بين أيدينا ، وواجبنا أن نحفظها لمن بعدنا بلا دخن ولا عطب ، حتى نعذر أنفسنا أمام الله عز وجل .

- اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم بصرنا بعواقب الأمور حتى لا يطمع فينا عدو ولا يساء بنا صديق .